

الدولة البهوية الخارسية

في العراق

أو الدولة الخارسية الخامسة في العراق

٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ

٩٤٥ م - ١٠٥٥ م

بداية دولة بني بوية

تمهيد:

ابتدأت هذه الدولة بقيام ثلاثة أخوة أبو الحسن علي وأبو علي الحسن وأبو الحسن أحمد أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو الذي يتصل نسبه على ما قيل إلى ملوك الفرس القدماء^(١) وكان أبوهم أبو شجاع قد سكن بلاد الديلم ونشأ أولاده فيها ثم خرجوا مع من خرج من بلاد الديلم^(٢) من أهل العصابات والثورة من دعاة العلويين ليفسدوا على العباسيين فدخل الأخوة الثلاثة في جيش ما كان ابن كالى فلما أدبر أمر ما كان التحقوا بمرداويج مؤسس الدولة الزيارية في

(١) ويروى أن نسبه يرتفع إلى يزدجر الثالث الساساني وقيل إلى مهر نرسی وزير بهرام جور الأول .

(٢) الديلم جبل من الفرس وكانوا من السبعة ولم يكن بنو بويه من الديلم بل أن أنصارهم ورجالهم من الديلم ومن الجيلان وراء خراسان (وهي البلاد الممتدة على سواحل بحر خزر من جنوبه الغربي) ولهذا لقت دولتهم بالديلمية كما لقت بالبويهية أيضاً .

(طبرستان و جرجان والرى وقزوين و همدان و أصهبان وغيرها) فتقلد كل واحد منهم ناحية من الجبل سنة ٣٢١ هـ الموافقة لسنة ٩٣٣ م وكان أكبرهم وهو أبو الحسن على على بلاد الكرج التي كانت في العراق العجمي بين أصفيهان و همدان وكان على الهمة فكثرت اتباعه واتباع أخويه ثم حصلت بينه وبين مرداويج وحشة فانتقض عليه وسار إلى أصفيهان وملكها ثم استولى على أرجان (جرجان) وعلى أثر ذلك كاتبه أهل شيراز يستدعونه فسا إليهم سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م فقاتله ياقوت عامل الخليفة ولكنه فشل وانهمز ودخل على شيراز فدانت له بلاد فارس كلها واشتهر ، ولما قتل مرداويج انضمت عساكره إلى على هذا وكان الخليفة يومئذ أراضى بالله فكتب إليه على والى وزيره على بن مقله يطلب تقرير البلاد عليه بألف ألف درهم (مليون) في السنة فأجيب إلى ذلك وبعثوا إليه بالخلع واللواء ولما قوى أمر على أقطع أخاه الحسن أصفيهان وأخاه أحمد كرمان وأقام هو بفارس ملكاً عاماً إلى أن مات سنة ٣٣٨ هـ بعد أن أسس أكبر دولة فارسية شيعية في الشرق .

وأول غارة شنها البويهيون على العراق كانت في سنة ٣٢٦ هـ الموافقة لسنة ٩٣٧ م وذلك أن أبا عبد الله البريدى كان قد أنهمز من ابن رائق وبحكم التركي (بحكم) المتغلبين على الخلافة ببغداد وسار إلى أصطخر مستنجداً بعلى بن بويه فأرسل أخاه أحمد لأخذ العراق فسار هذا بجيوشه حتى وصل أرجان فلاقاه هناك بحكم والى مدينة واسط وكان قد سار لصدّه وبعد عدة معارك أنهمز بحكم إلى الأهواز فتقدم أحمد إلى عسكر مكرم وقاتل حاميتها الذين تركهم فيها بحكم فهزمهم ففروا إلى تستر ثم سار أحمد الأهواز وملكها عنوة وفر بحكم إلى واسط وعلى أثر ذلك حدث خلاف بين أحمد وبين ابن البريدى فهرب الثاني فعلم باختلافهم فأرسل جيشاً واسترد الأهواز وأكثر البلاد التي استولى عليها أحمد

فلما فشل أحمد استنجد بأخيه على فأمدته بالجيوش فعاد وأستولى على الأهواز ، أما بجمكم فإنه سار من واسط إلى بغداد وأستولى عليها وقلده الخليفة الراضى بالله إماراة الأمراء خوفاً من شره وذلك سنة ٣٢٩ هـ وكان ابن البريدى بعد أن فر من أحمد قد أقام بالبصرة وصار يرأسل بجمكم ويحرضه على المسير إلى الجبل ليرجعها من الحسن بن بويه ثم يسير إلى الأهواز فيستردها من أحمد بن بويه واتفق معه فأمدته بجمكم بمخمماتة فارس وسار هو إلى حلوان في أنتظاره وبقي ابن البريدى يتربص بجمكم ويتنظر أن يبعد عن بغداد فيهجم هو عليها فأدرك ذلك بجمكم فرجع إلى بغداد . ولما عظمت الفتن في بغداد وتوالت الأضطرابات في العراق وتولى إماراة الأمراء توزون التركى (تورون . أوطوسون) كان أحمد مقيماً بالأهواز يراقب كل ما يجرى في بغداد من الأعمال ويأخذ الأخبار عن الحوادث التى تقع فيها فأغتمت فرصة نكبة الخليفة المتقى بالله فحمل بجيشه إلى واسط سنة ٣٣٣ هـ فلاقاه توزون والخليفة المستكنفى بالله فحمل بالعساكر فرجع أحمد إلى الأهواز وظل يتربص الفرص ولما اشتدت الفتن في بغداد وضاق بها الجبايات على العمال وخلاً بيت المال وأمتدت الأيدى إلى أموال الناس وزاد ظلم الأتراك في العراق وتقاعد الناس عن الأعمال فغلت الأسعار وقطعت الطرق وأصبحت البلاد العراقية فوضى واضطرب حبل الأمن وتولى إماراة الأمراء زبرك بن شير زاد التركى وأخذ أهل بغداد بالجلء عنها خصوصاً التجار خوفاً من المصادرات وضاق الأمر بالناس وسئموا تجر الأتراك وظلمهم وغدرهم بالخلفاء استغاثوا بأحمد بن بويه سراً وكتب إليه أحد القواد الأتراك المدعو ينال كوشه يطعمه في العراق (كتب إليه بغضه لزيرك بسبب ما كان بينهما من العداوة) فنهض أحمد مغتتماً فرصة تلك الفتن المخزنة وسار بجيوشه الديلم من الأهواز مسرعاً فخرج إليه زيرك بمن معه من جيوش الاتراك وقبائل الأكراد الذين جمعهم فالتمى الفريقان وبعد معارك هائلة

انهمزم زيرك بمن معه وسار قاصداً الموصل بعد أن تولى الإمارة ثلاثة أشهر وأختفى الخليفة في داره ببغداد وخاف خوفاً شديداً وأضطرب الناس .

أما أحمد بن بويه فإنه قدم كاتبه حسن المهلبى فلما دخل هذا ببغداد ظهر الخليفة المستكفى ودعى المهلبى إلى داره وأظهر له السرور والفرح بانتصار أحمد وقدمه .

ثم دخل أحمد ببغداد في شهر جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ بأستقبال عظيم وذهب إلى دار الخليفة وأجتمع به فولاه الإمارة وحلف له وخلع عليه وألبسه طوقاً من الذهب وسوره بسوارين من الذهب وفرض إليه تدبير المملكة وعقد له لواء وأمر أن يخطب له على المنابر ولقبه معز الدولة ولقب أخاه علياً عماد الدولة وأخاه الحسن ركن الدولة وأمر بضرب ألقابهم على الدراهم والدنانير .



معز الدولة أحمد بن بويه^(١)

سنة ٣٣٤ هـ - ٣٥٦ هـ

لما استتب أمر معز الدولة في العراق ورتب شؤون البلاد أقام ببغداد فأستأمن إليه أبو القاسم البريدى من البصرة وكان حاكماً عليها وضمن له واسط وأعمالها فعقد له عليها في السنة نفسها ٣٣٤ هـ ، وعلى أثر ذلك حجر معز الدولة على الخليفة وقدر له برسم النفقة كل يوم خمسة آلاف درهم (وهو أول من فعل ذلك من البويهيين وأول من ملك بغداد منهم) وبعد قليل حدثت بينه وبين الخليفة وحشة ورآه يسعى في إعادة حقوق الخلافة المعضوبة فعزم على خلعه فأجتمعت به في قصر الخلافة في محفل حافل وبينما هم جلوس دخل اثنان من كبار الديلم وتناولاً يد الخليفة فظنهما يريدان تقبيلها فمدها فجذباه عن سريره ووضعها عمامته في عنقه وأخذ بخناقه وساقوه ماشياً إلى دار معز الدولة في أسوأ حال وهناك خلعوه واعتقلوه وسلموا عينيه وظل في دار السلطنة معتقلاً حتى توفي في سنة ٣٣٨ هـ .

أما معز الدولة فإنه لما ساق أصحابه الخليفة فهض من دار الخلافة وسار إلى داره فضربت البوقات والطبول ونهب الديلم ما في قصر الخلافة من الأموال الثمينة فأستاء الأهلون ونسوا على معز الدولة فأضطربت بغداد، فلم يبال معز بشيء بل

(١) انظر المزيد في : رفيات الأعيان ١ / ٥٦ ، تجارب الأمم ٦ / ١٤٦ و ٢٣١ .

أنه جمع رجاله وأحضر أبا القاسم الفضل بن المقتدر فبايعه بالخلافة وأخذ له البيعة العامة فلقبوه المطيع لله (٣٣٤ هـ - ٣٦٣ هـ) (٩٤٥ م - ٩٧٣ م) ومنذ ذلك اغتصب معز الدولة ما بقى من حقوق الخلافة ولم يبق للخليفة غير كاتب يدبر أملاكه واقطاعه التي تركها له ليسد بها حاجاته . وأصبحت سلطة الخلافة مسلوبة تماماً ولم يبق لخليفة غير الأسم والتوقيع على المناشير وصارت الوزارة من جهة البويهيين بعد ما كانت من جهة الخلفاء .

وظل السعد يخدم معز الدولة حتى بلغ ما لم يبلغه أحد قبله في الإسلام إلا الخلفاء .

الحرب في بغداد

على أثر خلع الخليفة المستكفي^(١) ومبايعة المطيع جهز ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل جيشاً كبيراً لقتال معز الدولة وطرده من بغداد لأنه سانه استيلاء معز الدولة على بغداد وخلعه المستكفي وسلبه حقوق الخلافة . فبلغ ذلك معز الدولة فجهز جيشاً وأرسله لملاقاته بقيادة موسى بن فيادة وبنال كوشة التركي فالتمى الجيشان في عكبرا فانتصر ناصر الدولة وتقدم قليلاً فأضطر معز الدولة إلى تجهيز جيش جديد قاده بنفسه وأخذ معه الخليفة فحدثت بين الفريقين حروب شديدة فأرسل معز الدولة في أثناء ذلك القائد زيرك بن شير زاد التركي (الذي التحق به) بفرقة من عساكره إلى بغداد لخلوها من الجيوش فأستولى عليها زيرك

(١) انظر المزيد في : الكامل ٨ / ١٣٧ - ١٤٨ ، تاريخ الخميس ٢ / ٣٥٣ ، نكت الهميان

١٨٢ ، النبراس ١٢٠ ، مروج الذهب ٢ / ٤٢٠ - ٤٢٩ ، تاريخ بغداد ١٠ / ١٠ .

بغسة بأسم ناصر الدولة وعلى أثر ذلك توجه ناصر الدولة من سامر إلى بغداد فأخاز إليه ينال كوشه ومن معه .

فبلغ ذلك معز الدولة فسار ومعه الخليفة والجيش إلى بغداد فوجدوا ناصر الدولة قد دخلها فافتحموها فدخلوا الجانب الغربي منها، وأنقسمت المدينة إلى شطرين، الجانب الشرقي في قبضة ناصر الدولة ابن حمدان^(١). والجانب الغربي بيد معز الدولة البويهى . فحدثت بين الفريقين عدة معارك هائلة داخل المدينة دامت أياماً . نهب في أثنائها الديلم كثيراً من أموال الناس حتى قال بعضهم أنهم نهبوا ما يقدر بعشر ملايين من الدنانير، وضاق الحال بمعز الدولة حتى أنه عزم على الانسحاب إلى الأهواز فحملت جنوده حملة عنيفة فأنصرت وأضطر ناصر الدولة إلى الانسحاب فخرج من بغداد وعاد إلى مقره وذلك في محرم سنة ٣٣٥ هـ الموافقة لسنة ٩٤٦ م^(٢) ثم جرت بينهما مراسلات فتم الصلح بينهما على أن يحمل ناصر الدولة إلى معز الدولة مبلغاً من المال في كل سنة عن الموصل وديار بكر وديار مضر والحزيرة .

(١) هو الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي من ملوك الدولة الحمدانية كان صاحب الموصل وما يليها. ولقبه المتقى العباسى بناصر الدولة وخلع عليه وجعله أمير الأمراء وهو أخو سيف الدولة وأكبر منه . كان شجاعاً مظفراً، عارفاً بالسياسة والحروب . عاقلاً ولما توفى أخوه سنة ٣٥٦ هـ أصيب بالسويداء ، فحجر عليه بنوه وسيره ابنه فضل الله (الغضنفر) من الموصل إلى قلعة أردمشت، مرفها فتوفى فيها ، ونقل إلى الموصل . وكانت إمارته اثنتين وثلاثين سنة . وكان يداوى بنى بويه .

انظر المزيد في : وفيات الأعيان ١ / ١٤٠ .

(٢) ويسرى أن ناصر الدولة لما بلغت أعمال معز الدولة أمتنع عن دفع المال المقرر إلى الخلافة عن البلاد التي يحكمها فحمل عليه معز الدولة وجرت من أجل ذلك هذه الحروب .

الاضطرابات في العراق

وفي السنة نفسها ٣٣٥ هـ أنتفض أبو القاسم بن البريدى بالبصرة فأرسل معز الدولة جيشاً لقتاله فبلغ ذلك ابن البريدى فسير جيوشه للقتال فالتقى الجمعان في واسط فدارت الدائرة على جيش ابن البريدى وبلغه خبر الهزيمة فجهز جيشاً ثانياً فخرج معز الدولة من بغداد بجيش كبير ومعه الخليفة المطيع لله قاصداً طرد ابن البريدى من البصرة فلما وصل إلى الدرهمية أستأمن إليه جيش البصرة فأضطر ابن البريدى إلى الهرب وفر إلى القرامطة فدخل معز الدولة ومن معه البصرة وذلك في ٣٣٦ هـ بعد أن نظم شؤونها ولى عليها وزيره حسن المهلبى ورجع إلى بغداد .

ولما كانت سنة ٣٣٧ هـ امتنع ناصر الدولة ابن حمدان عن إرسال المال المقرر إرساله إلى بغداد فحمل عليه معز الدولة بجيوشه الديلم فلما اقترب من الموصل فر ناصر الدولة إلى نصيبين فدخل معز الدولة الموصل بدون قتال ، وبينما هو عازم على مطاردة ناصر الدولة بلغه قدوم الجيوش الخراسانية على جرجان والرى لقتال أخيه فأضطر إلى مصالحة ناصر الدولة فتم الصلح بينهما على أن يؤدي ابن حمدان عن بلاده مليوناً من الدراهم في كل سنة، وأن يخطب لبني بويه في جميع بلاده . الموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين والرحبة ورأس العين والخابور .

فرجع معز الدولة إلى بغداد . فأنقطعت الاضطرابات أكثر من ثلاث سنوات في العراق فحمل في سنة ٣٤١ هـ يوسف بن وجيه صاحب عمان على

البصرة وحاصرها أياماً فقاتله أميرها حسن المهلبى حتى اضطره إلى الرجوع بالفشل.

فهدأت الأحوال إلى سنة ٣٤٧ هـ فأمتنع ابن حمدان عن تأدية ما عليه من المال فزحف عليه معز الدولة لأخذ بلاده فأهزم ابن حمدان إلى حلب وبعد مراسلات تصالحا وعاد كل منهما إلى مقره على أن يدفع ابن حمدان فى كل سنة مليونين من الدراهم عن بلاده إلى معز الدولة .

ولم تمض سنة على ذلك الصلح حتى فسدت نية معز الدولة على ناصر الدولة فحمل عليه بجيوشه ومعه وزيره المهلبى وحجته فى ذلك تأخير إرسال المال المقرر (والظاهر أنه كان يريد أضعافه أو محو حكومته لئلا تكون بجانبه إمارة عربية قوية) ولما أقرب ابن بوية من الموصل فر ابن حمدان إلى نصيبين ثم بدأت غارات بعضهم على بعض حتى ضعف أمر ابن حمدان فأضطر إلى الهرب إلى حلب عند أخيه سيف الدولة وكتب إلى معز الدولة يسأله الصلح فأبى وحجته فى ذلك أنه خالف مرة بعد مرة فأضطر سيف الدولة إلى أن يكون ضمان البلاد التى لآخيه ناصر الدولة بأسمه وتعهد بدفع مليونين وتسعمائة ألف درهم سنوياً وأن يكون الحكم فيها لآخيه فتم الصلح وعاد كل منهما إلى مقره وذلك فى سنة ٣٤٨ هـ وبعد مضى خمس سنوات امتنع ناصر الدولة عن دفع الضمان السنوى (أى المال) فعادت الحرب بين الفريقين وحمل معز الدولة على الموصل فأهزم منها ناصر الدولة إلى نصيبين فلحقه معز الدولة فلما اقترب منه فر منها إلى جزيرة ابن عمر وبينما معز الدولة يتبع آثار ناصر الدولة فى جزيرة ابن عمر إذ حمل ناصر الدولة على الموصل بغته ومعه أولاده وجيوشه فدخلها وفتك بالديلم وأسر كبرائهم وغنم جميع ما فيها من الأموال والذخائر التى لمعز الدولة فأضطر الأخير إلى عقد الصلح فتم بينهما وعاد معز الدولة إلى بغداد .

ولم تمض مدة قصيرة على هذه الحادثة حتى شغب الجند في بغداد على معز الدولة بسبب تأخير مرتباتهم . ولما كان المال الموجود غير كاف للجند اضطر معز الدولة إلى أخذ أموال الناس بالباطل فصادر بعض الثرين من أهل الوجاهة فلم يغنه ذلك شيئاً فمد يده إلى ضياع الخلافة وضياع الملاكين وسلمها إلى قواده ليزرعوها ويأخذوا مرتباتهم من غلتها ولم يكتف بهذه الأعمال المخالفة للعدل بل أنه لما بنى سنة ٣٥٠ هـ قصره المعروف بالدار المعزية في محلة الشماسية (السليخ اليوم) وصرف عليه نحو مليون دينار واحتاج إلى المال صادر جماعة من رجال الحكومة ثم احتاج إلى المال لأمر أخرى فأعطى القضاء بالضمان (بالالتزام) فضمنه عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب بمائتي ألف درهم سنوياً يدفعها إلى بيت المال ببغداد وسمى قاضي قضاة بغداد (وهو أول من ضمن القضاء في الإسلام)^(١).

وفي أيام معز الدولة أسست الإمارة الشاهينية بالبطيحة في العراق في سنة ٣٣٨ هـ أسسها عمران بن شاهين من أهل الجامدة^(٢) بعد أن حدثت بينه وبين معز الدولة حروب عديدة وعجز معز الدولة عن قهره حتى اضطر إلى مصالحته وتقليده إمارة البطائح^(٣) ثم خرج على معز الدولة في سنة ٣٥٤ هـ وظلت الديلم تقاتله تحت قيادة أبي الفضل العباس بن الحسن مدة طويلة فمات معز الدولة في سنة ٣٥٦ هـ فأضطر جيشه لمصالحته .

(١) ومنذ ذلك الحين صاروا يعطون القضاء بالضمان في أكثر الأحيان ثم صاروا يعطون الحسبة والشرطة وغيرهما بالضمان أيضاً .

(٢) الجامدة قرية كبيرة من أعمال مدينة واسط بينها وبين البصرة ظلت عامرة إلى القرن السادس للهجرة .

(٣) البطائح أو البطيحة هي أرض بين البصرة والكوفة فيها قرى وطايح ومستقعات وكانخراجها كثيراً خصوصاً في أيام بني أمية .

وفي أيام معز الدولة جرى في بغداد مأتم رسمي في يوم عاشوراء على الحسين ابن الإمام علي بأمر أصدره في سنة ٣٥٢ هـ قضى بإغلاق جميع الأسواق ومنع الطباخين من الطبخ وياخراج نساء يلظمن في الشوارع ويقمن العزاء للحسين. وهذا أول يوم جرى فيه مأتم رسمي على الإمام بن الإمام . ومعز الدولة هذا أول من فعل أروضاء لأبناء مذهبه الشيعة .

ومات معز الدولة ببغداد في ١٣ ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ وكان ولي عهده ابنه بختيار الملقب بعز الدولة . ووزيره الحسن المهلبى . وحاجبه سبكتكين . وكاتبه أبو الفضل العباس بن الحسين وأبو الفرج محمد بن العباس .

عز الدولة بختيار^(١)

٣٥٦ هـ - ٣٦٧ هـ

لما مات معز الدولة ببغداد في ١٣ ربيع الآخر سنة ٣٥٦ هـ وكان ابنه بختيار الملقب بعز الدولة ولي عهده تولى الأمر بعده فأصدر الخليفة المطيع لله منشور في ذلك وخلع عليه ولقبه عز الدولة. وأول شيء فعله عقد الصلح مع عمران بن شاهين أمير البطائح .

ولم يكن عز الدولة كأبيه في السياسة والتدبير بل كان ضعيف الرأى سىء التدبير مشغولاً بالملاهى مسيناً إلى رجال حكومته حتى أنه طرد كبار الديلم طمعاً في إقطاعهم وسبب ذلك شغب الجند عليه ببغداد وكانوا يومئذ طائفتين - الديلم

(١) انظر المزيد في : بيمه الدهر ٢ / ٤ .

والأتراك - فتوالت الفتى بسبب سوء تدبيره وقلت الأموال وكثرت حروبه مع أمراء البلاد المجاورة له كالموصل والبصرة وغيرها حتى زالت هيئته وطمع به أعداؤه. وانقطع عنه سبكتكين التركي لسوء سيرته وعصى بالبصرة أميرها أخوه حبشى ابن معز الدولة وثار عليه في سنة ٣٥٧ هـ فأرسل عز الدولة وزبهره أبا الفضل العباس بن الحسين فانتصر الوزير على حبشى وقبض عليه وصادر أمواله التي بالبصرة وأرسله مخفوراً إلى أخيه عز الدولة ببغداد فحبسه .

ثم ثار في سنة ٣٥٩ هـ أمير البطيحة عمران بن شاهين فسار لقتاله عز الدولة حتى نزل بواسط ثم أمر وزيره أبا الفضل أن ينحدر إلى الجامدة فأنحدر إليها بسالحيش وحاصر البطيحة فطال أمد الحصار - وعز الدولة بواسط ينتظر الظفر - فضجر الجيش وثار على أبي الفضل فأضطر إلى عقد الصلح مع عمران وصالحه على مال يرسله في كل سنة إلى عز الدولة ، فعاد الجميع إلى بغداد وذلك في سنة ٣٦١ هـ .

وفي هذه السنة ٣٦١ هـ - جاء إلى بغداد فريق كبير من المسلمين مستصرخين بما فعل الروم في الجزيرة ونصيبين فثارت عامة بغداد تريد حرب الروم فطلب عز الدولة من الخليفة مالاً لتجهيز الجنود فقال له الخليفة : تلزمني النفقة على الحرب إذا كانت البلاد في يدي وتجي إلى الأموال . أما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء وإنما يلزم من في يده البلاد ، وليس لي إلا الخطبة فإذا شتمت أن اعتزل فعلت ، فلم ينفع الخليفة احتجاجه ، وهدده عز الدولة فخاف على نفسه من القتل ولم يكن عنده مال فأضطر إلى بيع أنقاض داره وأثاثها وثيابه فجمعت أربعمائة ألف درهم فسلمها إلى عز الدولة فشاع أن الأمير صادر الخليفة ، ولما قبض عز الدولة المال صرفه على مصالحه وتقاعد عن الحرب فأنقطع حديث الناس عن الحرب .

الفتنة

بين الديلم والأتراك

دخلت سنة ٣٦٣ هـ فسار عز الدولة إلى الأهواز فحدثت هناك فتنة بين الديلم والأتراك أدت إلى حرب دموية بين الطرفين فأنتصر عز الدولة للديلم وأعتقل رؤساء الأتراك ففتك الديلم بالأتراك . وبلغ ذلك من في البصرة من الديلم فسودى بالبصرة أبا باحة دماء الأتراك فقتل منهم عدد كبير . واستولى عز الدولة على إقطاع سبكتكين التركي (حاجب أبيه معز الدولة) .

وبلغ ذلك سبكتكين وهو يومئذ ببغداد فثار بمن معه من الأتراك ونهب دار عز الدولة . واستولى على حكومة بغداد وطلب من الخليفة المطيع لله أن يخلع نفسه ويسلم الخلافة إلى ابنه عبد الكريم وكان المطيع قد أصيب في هذه السنة ٣٦٣ هـ بالفالج وثقل لسانه وتعذرت الحركة عليه ، فخلع نفسه وباع لابنه عبد الكريم ولقبه الطابع لله فتمت له البيعة ٣٦٣ هـ - ٣٨١ هـ .

أما عز الدولة فإنه كان قد سار من الأهواز إلى البصرة ثم سار إلى واسط فبلغه ما حدث ببغداد فتوجه إليها فلما وصلها ورأى الأتراك قد استولوا على الدولة أخذ يدبر المكيدة على سبكتكين إلى داره للغزاء فيقبض عليه ، ففعلوا ذلك ، غير أن سبكتكين لم تفته هذه الحيلة فحاصر دار عز الدولة ثم وضع النار فيها فخرج أهلها وطلب عز الدولة الذهاب إلى واسط بمن معه فأذن لهم سبكتكين فأتحذروا في دجلة ومعهم الخليفة الطابع (وفي الحقيقة أنه طابع) فبلغ سبكتكين

خروج الخليفة معهم فأرسل جماعة من رجاله لإرجاعه فردوه إلى بغداد وقسرى أمر الأتراك ببغداد وعلى أثر ذلك استولى سبكتكين على جميع ما كان لعز الدولة من الأموال المنقولة والثانية فتحمس الديلم الذين في بغداد وثاروا فنهبوا أموال الأتراك فحدثت من جراء ذلك فتنة عظيمة وأنقسم البغداديون إلى حزبين السنة وهم أنصار الأتراك والشيعية وهم أنصار الديلم وبعد قتال دام بضعة أيام في شوارع المدينة وأسواقها انتصر السنة وأحرقوا دور الشيعة ثم هدأت الأحوال من نفسها .

أما عز الدولة فإنه عندما وصل مدينة واسط استنجد بابن عمه ضد الدولة المستقل ببلاد فارس فلما علم الثاني بضعف أمر الأول وما فعله الأتراك معه عزم على السير لنصرته فسار في عساكر فارس سنة ٣٦٤ هـ قاصداً واسط ولما وصلها واجتمع بعز الدولة اتفقا على أن يسير عضد الدولة إلى الجانب الشرقى من بغداد ويسير عز الدولة إلى الجانب الغربى منها فيحاصرها من جميع الجهات . ثم ساروا بالجيش على تلك الخطة حتى أحاطوا بالمدينة . وكان سبكتكين قد مات قبل أن يحاصرا بغداد فخرج إليها عضد الدولة والتقوا بالقرب من تكريت وبعد عدة معارك وولى الأتراك مكانه أفتكين التركى فتجهز هذا لصد جيوش الديلم فلما أحاطوا ببغداد اتخذ خطة الدفاع ودافع هو رجاله دفاعاً شديداً وفي أثناء ذلك غلت الأسعار وقلت الأقوات حتى احتاج أفتكين إلى الطعام واضطر إلى كبس بيوت البغداديين فكبسها وأخذ منها كل ما وجدته من الطعام فأضطرب جبل الأمن وكثر النهب والسلب في المدينة وسادت الفوضى فيها وأخيراً اضطرب أفتكين إلى منزلة عدوه خارج المدينة فخرج إليه وقاتلت جنوده قتالاً شديداً وبعد معارك هائلة انهزم بمن معه إلى تكريت وأستولى عضد الدولة وعز الدولة على بغداد .

ولما كان عضد الدولة طامعاً في العراق وعالمياً بضعف عز الدولة وقلة المال عنده أغرى الجنود على أن يثروا عليه ويطالبوه بنفقاتهم فشغبوا عليه وبالغوا فيه فأحسار عز الدولة لأنه كان لا يملك شيئاً من المال فأشار عليه عضد الدولة بعدم الاكتراث بهم والتظاهر بالتنازل عن الملك فظنه عز الدولة لضعف رأيه أنه ناصحاً ومدبراً ففعل ما أشار عليه وأغلق باب داره وصرف حجابيه وكتابه فشاع في المدينة أن عز الدولة قد تخلى عن الملك فأجتمع رجال الحكومة والجنود حول عضد الدولة ففرق على الجيوش الأموال وجلب إليه قلوبهم فنودي له بالملك .
ولما نجح عضد الدولة في حيلته اعتقل عز الدولة وأخوته وصفى له الجو ببغداد .

وعلى أثر ذلك ثار في سنة ٣٦٤ هـ المرزبان بن عز الدولة وكان متولياً على البصرة من قبل أبيه وكاتب أمراء البلاد يطلب منهم نصر أبيه فكتب إلى ركن الدولة يخبره بما فعل أبنة عضد الدولة بأبيه فغضب ركن الدولة لهذا الأمر وكتب إلى أبنة يأمره بأن يعيد الملك إلى عز الدولة فأجابه يعلمه بضعف رأى عز الدولة وأنه لا يقدر على ضبط الملك وتديبره وأنه إذا ترك العراق له ربما ضاع من بنى بويه كافة . فأساء أبوه الرد عليه وحبس وزيره ابن العميد أبا القاسم فأحتال الوزير على ركن الدولة حتى أقنعه على شرط أنه إذا أطلقه من السجن يعيد الملك إلى عز الدولة فأطلقه على هذا الشرط فسار إلى بغداد وخوف عضد الدولة من أبيه وحذره عاقبة التعنت وصادف ذلك انتفاض بعض العمال على عضد الدولة واتفاق الأمراء الذين راسلهم ابن عز الدولة على قتاله اجتماع كلمتهم على نصر أبيه فخشى عضد الدولة عاقبة الأمر فأخرج عز الدولة من السجن وأعادته إلى منصبه وسار عن بغداد راجعاً إلى مقره وأستلم عز الدولة زمام الأمور .

ولما مات ركن الدولة سنة ٣٦٦ هـ وتولى ملكه أبنة عضد الدولة كان عز الدولة يسعى في اجتذاب الأمراء إليه ليقوى بهم عضد الدولة حتى أنه أغرى بعضهم في الانتقاض عليه فعلم ذلك عضد الدولة فعزم على أخذ العارق منه وسار بجنوده نحوه فخرج عز الدولة إلى واسط لصدده وبعد معارك شديدة اندحر عز الدولة وتحصن في واسط وطلب الصلح فترددت الرسل بينهما أياماً بدون فائدة وأخيراً صار عضد الدولة إلى بغداد ودخلها بسلام وكتب إلى عز الدولة يدعوه إلى الطاعة ويأمره بالخروج من العراق إلى أي قطر شاء إلا الموصل فخرج عز الدولة من واسط قاصداً سورية وذلك سنة ٣٦٧ هـ الموافقة لسنة ٩٧٧ م .

عضد الدولة بين ركن الدولة^(١)

٣٦٧ هـ - ٣٧٣ هـ

عندما دخل عضد الدولة بغداد خلع عليه الخليفة الطائع وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره بسوارين على جرى العادة وقلده سيفاً من الذهب وعقد له لوائين أحدهما مذهب والآخر مفضض وكتب له عهداً قرئ بحضرته وأمر أن يخطب له على المنابر بالملك وأن يضرب اسمه ولقبه على الدراهم والدنانير. ولما خرج عضد الدولة من قصر الخلافة أرسل إلى الخليفة هدية فاخرة نقلها خمسون حمالاً من جملتها خمسون ألف دينار وألف درهم (مليون) وخمسمائة ثوب من الحرير

(١) انظر المزيد في : الكامل ٨ و ٩ ، بغية الوعاة ٣٧٤ ، البداية والنهاية ٢٩٩ / ١١ ،
مرآة الجنان ٣٩٨ / ٢ ، يتيمة الدهر ٢ / ٢ ، وفيات الأعيان ١ / ٤١٦ .

وثلاثين صسنية مذهبة فيها المسك والعنبر والكافور والند وغير ذلك من الثياب والفرش والخيول .

أما عز الدولة فإنه لما خرج من واسط قاصداً سورية ووصل حديثه الفرات واقاه أبو تغلب بن حمدان في عشرين ألف مقاتل وكان من أنصاره فاتفق معه على قتال عضد الدولة وأخرجه من العراق فزحفاً على بغداد ودارت الدائرة على جيش ابن حمدان وانتصر عضد الدولة وأسر عز الدولة وقتله وقتل وزيره أبا ظاهر محمد بن بقية بن علي الملقب نصير الدولة وكانت بينه وبين عضد الدولة. وقد طلبه عضد الدولة بعد أن ملك بغداد وقتل عز الدولة فقبض عليه والقاء تحت أرجل الفيلة فقتل فأمر بصلب جثته فصلبت عند داره بباب الطاق ببغداد وذلك سنة ٣٦٧ هـ فرثاه أبو الحسن محمد بن عمران الأنباري أحد العدول ببغداد بقصيدته المشهور التي مطلعها :

علو في الحياة وفي الممات لحق تلك إحدى المعجزات

ويروى أن عز الدولة لما قصد سورية كان معه حمدان ابن ناصر الدولة الحمداني فأغراه حمدان على أخذ الموصل من أخيه أبي تغلب بن ناصر الدولسة (وكان مغاضباً لأخيه) فلما وصل تكريت أوفد إليه أبو تغلب رسولاً يسأله القبض على حمدان وأرساله إليه وأنه إذا فعل ذلك سار إليه بنفسه ليقاتل عضد الدولة ويعيده إلى ملكه فقبض بختيار على حمدان وسلمه إلى رسل أبي تغلب فحملوه إليه فحبسه ثم سار بختيار بعشرين ألف مقاتل واجتمع بأبي تغلب عند حديثه ومن هناك زحفاً على عضد الدولة وانشبت الحرب بينهما فانتصر عضد الدولة وأسر بختيار ثم قتله وفر أبو تغلب بأصحابه راجعاً إلى الموصل. فنقم عضد الدولسة على أبي تغلب لخيانة العهد والولاء وسار إلى الموصل فرحل عنها أبو تغلب إلى نصيبين فتبعته جنود عضد الدولة حتى اضطر إلى الهرب إلى أضراروم ومنها إلى غيرها وسار

إلى سورية وأخيراً قتل هناك وأنقرضت دولة الحمدانيين من الموصل بعد أن دامت نحو أربع وسبعين سنة أي منذ ولاية أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان في خلافة المكتفى سنة ٢٩٣ هـ إلى أن استولى عضد الدولة عليها سنة ٣٦٧ هـ وطردها تغلب ابن ناصر الدولة وضبط بلاده ولما تم الأمر لعضد الدولة فيها جعل عليها أبا الوفاء طاهر بن محمد وعاد هو إلى بغداد .

ولما تم أمر عضد الدولة في العراق طمع في الاستيلاء على البطيحة وأرسل جيشاً بقيادة وزيره المطهر بن عبد الله فهزمه الحسين بن عمران ولما لم يكن المطهر هزم قبلاً خاف سقوط منزلته عند عضد الدولة فقتل نفسه وعلى أثر ذلك صالح عضد الدولة أمير البطيحة الحسين على مال يأخذه منه كل عام .

وفي هذه السنة ٣٦٧ هـ اعتقل عضد الدولة أبا إسحاق إبراهيم الصابي^(١) الكاتب المشهور ببغداد وعزم على إلقائه تحت أيدي القبيلة فشفعوا فيه ثم أطلقه سنة ٣٧١ هـ . وسبب ذلك هو أن إبراهيم كان كاتباً في ديوان الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة ثم تقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ هـ وكانت تصدر عنه رسائل إلى عضد الدولة بما يؤمله فحقد عليه . ولما مات الصابي سنة ٣٨٠ هـ رثاه الشريف الرضى بقصيدة بديعة أولها :

أرأيت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى

وبعد أن هدأت الأهوال شرع عضد الدولة في عمارة بغداد فعمر جوامعها ومدارسها وأسواقها وجدد ما أندثر من الأبنية التي حولها وذلك سنة ٣٦٩ هـ وكسنت قد خرجت المدينة من توالى الفتن والأضطرابات ومن الغرق الذي أصابها

(١) انظر : بغية الوعاة للسيوطي .

مراراً أثناء اشتغال حكومتها وأهلها في الحروب والثورات التي اشغلتهم عن تحكيم السداد وعن تعمير كل ما خرب .

وفتح عضد الدولة صدره للعلماء وناظرهم في المسائل واکرمهم وشجعهم على نشر العلوم والفنون ورجب الناس في الاشتغال بذلك ونشطهم على توسيع نطاق الزراعة والتجارة فزهت بغداد في أيامه وتوفرت فيها الأموال وأمتلأ بيت المال وقصدها جماعات من رجال العلم صنفوا له كتباً عديدة في علوم مختلفة فأشتهر ببغداد في أيامه جماعة من العلماء والحكماء والأدباء والأطباء وغيرهم . وبنى في سنة ٣٧١ هـ مارستاناً كبيراً على طرف الجسر في الجانب الغربي من بغداد نقل عليه كل ما يلزم له من الأدوية والآلات ورتب له ٢٤ طبيباً وفيهم الجراحون والكحالون والمجربون ومن كان يدرس صناعة الطب فيه الطبيب إبراهيم ابن بكس وكان رئيس هذا المارستان الشيخ أبو منصور صاعد بن بشر الطبيب وهو أول من عالج الأمراض التي كانت تعالج بالأدوية الحارة بالأدوية الباردة ولما نجح في عمله عين رئيساً لهذا المارستان . وكان يسمى المارستان العضدى وهو مدرسة للطب ومستشفى معاً .

وفي هذه السنة ٣٧١ هـ أرسل عضد الدولة من بغداد القاضى أبا محمد ابن الطبيب الأشعري المعروف بابن الباقلائي سفيراً إلى قيصر الروم قسطنطين التاسع فسافر ابن الباقلائي إلى القسطنطينية يحمل جواب رسالة وردت على عضد الدولة من القيصر في مسألة أدبية . وكان ابن الباقلائي هذا من أكبر رجال العلم والأدب في العراق .

وأراد عضد الدولة أن تكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب فحمل الطابع على أن يتزوج بابنته فتزوجها على صداق مائة ألف دينار فجمع الخليفة بهذا

الزواج بين بنت عضد الدولة وبنت عز الدولة التي تزوجها قبلا على مثل ذلك الصداق .

وتوفى عضد الدولة ببغداد سنة ٣٧٣ هـ بعد أن أتسع ملكه فحمل نعشه إلى مشهد الإمام على . وكان عاقلاً فاضلاً حسن السيرة والسياسة والتدبير محباً للعلوم والفنون والعمران سعدت في أيامه بلاد العراق وعاش العراقيون تحت راية عدله ببناء وسلام وهو أول من ضرب الطبل على يابه وأول من عقد له الخليفة لوائين وأول من تسمى بملك في الإسلام .

وقد أشتهر عضد الدولة شهرة فائقة وملك بلاداً كثيرة عدداً العراق لأن عمه أبو الحسن على الملقب عماد الدولة الذي هو زعيم هذا البيت ومؤسس دولتهم كان قد تبناه لعدم وجود ولد له وأحضره عنده وأكرمه وأجلسه على سرير المملكة وأمر الجنود بطاعته وعهد إليه بالملك على فارس بعده فلما توفى سنة ٣٣٨ هـ أستولى عضد الدولة على بلاد فارس ثم أستولى بعد قليل على كرمان سنة ٣٥٧ هـ وأقطعها لولده أبي الفوارس ولما مات أبوه ركن الدولة ٣٦٦ هـ أستولى على ممالكة أيضاً ثم حدثت بينه وبين ابن عمه عز الدولة بختيار وحشة كما تقدم فأستولى على العراق ٣٦٧ هـ ثم حمل في السنة نفسها على الموصل وما يتبعها من البلاد التي كانت لبني همدان فأستولى عليها أيضاً ثم وقعت بينه وبين أخوته وحشة فأستولى على أكثر ما بأيديهم من البلاد حتى عظم أمره (ومن وزرائه الصاحب ابن عباد الأديب الشهير . وكان مؤدب عضد الدولة العلامة أبو الفضل محمد بن العميد الملقب بالأستاذ المتوفى سنة ٣٦٠ هـ) .

صمصام الدولة^(١)

٣٧٣ هـ - ٣٧٧ هـ

وتسولى بعد عضد الدولة ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار فخلع عليه الخليفة على جرى العادة وخطب له على المنابر ولكنه لم يكن كأبيه فأساء السيرة مع العراقيين وطرح عليهم كثيراً من الرسوم حتى أن أهل بغداد كادوا يثورون عليه . فمن ذلك أنه لما احتاج إلى المال سنة ٣٧٥ هـ ضرب ضريبة على ثياب الحرير والقطن التى تنتج في بغداد ونواحيها وأمر بإحصاء ما سيجىء من تلك الضريبة فبلغت مليون درهم في السنة وعلى أثر صدور هذا الأمر ثار أهل بغداد واجتمعوا في جامع الخلفاء وعزموا على الامتناع من صلاة الجمعة فاضطربت الأحوال وأضطر صمصام الدولة إلى لغو هذه الضريبة .

ولما كانت سنة ٣٧٣ هـ حدثت وحشة بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة أبي الفوارس وكان الثانى عالماً بعدم رضاء أهل بغداد وجنودها على صمصام الدولة وكرههم له وشغبيهم عليه لسوء تدبيره فأغتنم فرصة ذلك الأضطراب وزحف من الأهواز على العراق بخمسة عشر ألف مقاتل من الديلم فأستولى على البصرة وولى عليها أخاه أبا الحسين ثم ولى عليها أبا طاهر ابن عضد الدولة .

(١) انظر : الكامل في التاريخ وتاريخ الطبرى .

فبلغ ذلك صمصام الدولة فأرسل لقتاله جيشاً بقيادة الأمير أبي الحسن بن دبعش فجهز شرف الدولة له جيشاً بقيادة الأمير ديبس بن عفيف الأسدي فأهزم جيش صمصام الدولة وأسر قائده . ثم ولى في سنة ٣٧٤ هـ حماية الكوفة أبا طريف عليان بن ثمال الخفاجي . وعلى أثر ذلك في سنة ٣٧٥ هـ عصى بالبصرة أبو طاهر ابن عضد الدولة وأستقل بما فأرسل شرف الدولة جيشاً فانتصر عليه وقبض على أبي طاهر . ولما رأى صمصام الدولة قوة شرف الدولة أرسل يطلب الصلح فأستقر بينهما على أن يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة ويكون صمصام الدولة نائباً عنه . فلما كانت سنة ٣٧٦ هـ عادت الفتن بينهما فسار شرف الدولة بجيوشه حتى وصل واسطاً واستولى عليها .

فشغب الجند ببغداد على صمصام الدولة وأجمعوا على تسليم الملك إلى أخيه شرف الدولة وكتبوا إليه يستقدمونه فخاف صمصام الدولة اتساع الخرق فسار بجماعة من رجاله إلى واسط ليصالح أخاه فلما التقى به طيب قلبه وأكرمه ولما أراد الرجوع إلى بغداد وخرج من منزل شرف الدولة قبض عليه وأعتقله وسار نحو بغداد ومعه أخوه المعتقل فدخلها بدون حرب وذلك في رمضان سنة ٣٧٧ هـ .

وفي أيامه قويت شوكة باذ الكردي الحميدي وكان قد أستولى على ديار بكر وميافارقين ونصيبين فأرسل صمصام الدولة جيشاً لقتاله فانتصر باذ بعد عدة معارك ثم أستولى على الموصل في سنة ٣٧٣ هـ وأقام فيها وقوى أمره حتى طمع في بغداد فخافه صمصام الدولة فأرسل جيشاً كثيفاً بقيادة زياد بن شهر اكوبه الديلمي فدارت بينها رحى الحرب في سنة ٣٧٤ هـ فأنكسر باذ وأهزم بأصحابه وعادت الموصل إلى البهييين .

شرف الدولة (١)

٣٧٧ هـ - ٣٧٩ هـ

دخل شرف الدولة بغداد فركب إليه الخليفة الطابع وهناه وعهد إليه بالسلطنة وتوجه والبسه سوارين وخلع عليه وأمر فقرأ عهده وخطب له على المنابر وصار لقب السلطان بدلاً من لقب أمير الأمراء فأحسن شرف الدولة السيرة ووجه نظره إلى أحوال المملكة وشرع يصلح ما أفسدته الفتن المتوالية فرد الأملاك المغصوبة إلى أهلها . منها أموال النقيب أبو أحمد والد الراضى وأموال الشريف محمد بن عمر الكوفى . وأقر على الناس مراتبهم ثم وجه نظره إلى تشجيع العلوم والفنون وبني رصداً فى طرف بستان دار المملكة ببغداد وجمع فيه الفلكيين وأمرهم برصد الكواكب فرصدوها له منهم أبو سهل ويحى الكوهى وذلك سنة ٣٧٩ هـ واكرم هذا السلطان العلماء وقربهم ولم يحدث فى أيامه بالعراق ما يخل بالنظام غير حادثتين وقعتا فى بغداد الأولى أن عساكره الذين كانوا نحو الخمسة عشر ألفاً من الديلم استطالوا على جنود الأتراك الذين كانوا فى المدينة وحدثت بينهم منازعة عن دار واصطلب وآلت المنازعة إلى القتال داخل بغداد فانتصر الديلم لكنهم وأنخذل الأتراك لأنهم كانوا يوم ذاك ثلاثة آلاف رجل فنادى الديلم بإعادة صمصام الدولة إلى الملك فارتاب منهم شرف الدولة ووكل بصمصام الدولة من يقتله أن هموا بذلك .

(١) انظر المزيد فى : مروج الذهب للمسعودى .

ولما أخذ الأتراك لقلتهم ورأوا أنفسهم غير قادرين على الانتقام من الديلم لكثرتهم التجؤا بالأهلين من السنة فاتفقوا معهم فانتصروا على الديلم بمساعدتهم وفتكوا بهم وشتوهم فاعتصموا بشرف الدولة فأصلح بينهم وحلف بعض لبعض . وعلى أثر هذه الحادثة أرسل شرف الدولة أخاه صمصام الدولة مسجوناً إلى بلاد فارس فأعتقل هناك .

أما الثانية فهي أن قائد الجيوش قراتكين الذى كان قد أفرط في الدولة حتى صار حملاً ثقيلاً على شرف الدولة حدثت بينه وبين منصور بن صالحان وزير شرف الدولة وحشة فأغرى الجنود بالشغب على الوزير فثاروا عليه وأسمعوه ما يكره فأنيسط لهم الوزير ولاطفهم فسكنوا فأصلح شرف الدولة بين الوزير والقائد وشرع سراً في تدبير الخلاص من القائد حتى تمكن بعد أيام قليلة من القبض عليه وعلى جماعة من أنصاره وصادر أموالهم فشغب الجنود فقتل شرف الدولة القائد وولى مكانه طغمان الحاجب فسكن الجيش وأخلد إلى السكون وتولى شرف الدولة ببغداد سنة ٣٧٩ هـ .

وفي هذه السنة (سنة ٣٧٩ هـ) أستولى على الموصل أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة ابن حمدان .

بهاء الدولة^(١)

٣٧٩ هـ - ٤٠٣ هـ

وتولى الأمر بعد شرف الدولة أخوه أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة فركب الخليفة الطابع إليه ودخل عليه بعزبة بأخيه فقبل أبو نصر الأرض بين يدي الخليفة وأظهر له احتراماً عظيماً ثم عاد الخليفة إلى قصره فحضر عنده الوجوه والأمراء والعلماء وأبو نصر فخلع عليه الخليفة سبع خلع وطوق عنقه بطوق كبير من ذهب والبسه سوارين من الذهب ومشى الحجاب بالسيوف بين يديه فقبل الأرض بين يدي الخليفة وجلس على كرسي أعد له فقیء عهده ولقبه الخليفة بهاء الدولة .

ولما تم الأمر لبهاء الدولة استخلف على بغداد أبا ناصر خواشاذه وسار هو منها إلى جرجان سنة ٣٨٠ هـ وملكها وجرت بينه وبين صمصام الدولة الذي فر من السجن بعد وفات شرف الدولة حروب عديدة ثم اصطلحا وعاد بها الدولة على بغداد .

وفي أثناء غياب بهاء الدولة حدثت ببغداد فتن عديدة تارة بين الديلم والأتراك وأخرى بين السنة والشيعة فلما عاد أصلح ما أفسدته تلك الفتن وبينما هو يصلح ما فسد إذ شغب الجند عليه لتأخير مرتباتهم فأحتاج إلى المال فأغراه أبو الحسن بن المعلم - وكان مقرباً عنده - بالقبض على الخليفة الطابع وأطمعه في أمواله . وصادف أن الخليفة كان قد حبس رجلاً من خواص بهاء الدولة فأغاظ

(١) انظر المزيد في : الكامل في التاريخ .

منه وأضمر له السوء وأرسل إليه في الحضور عنده فجلس الخليفة حسب العادة على سريره متقلداً سيفه فجاء بهاء الدولة ومعه جماعة من حاشيته فقبل الأرض بين يدي الخليفة وبينما هم جلوس تقدم رجاله إلى الخليفة وجذبوه من سريره ولفوه في كساء وصعدوا به إلى دار السلطنة وهو يستغيث ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون، فحبسوه وأخذ بهاء الدولة كل ما كان في قصره وأنفقه على الجند فأضطربت بغداد لهذه الحادثة . وكان الشريف الرضى ببغداد فقال في ذلك أبياتاً منها :

من بعد ما كان رب الملك مبتسماً	إني ادنوه في التجوى ويدنيني
أمسيت أراحم من قد كنت اغبطه	لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكى	يا قرب ما عاد بالضراء يبكي
هيات اغتر بالسلطان ثانيه	قد ضل ولاج ابواب السلاطين

ونهب الناس بعضهم ونقموا على بهاء الدولة ولكنه لم يبال بهم وأجبر الطابع على خلع نفسه وأشهد عليه بالخلع وأنقذ جماعة من الوجوه إلى البطيحة لإحضار أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله فأحضره إلى بغداد وخرج لاستقباله بهاء الدولة والأمراء والعلماء والوجوه وأدخلوه قصر الخلافة وبايعوه ولقبوه القادر بالله (٣٨١ هـ - ٤٢٢ هـ) ولما تمت البيعة حمل الطابع المخلوع إلى قصر القادر بالله فبقى مكرماً إلى أن مات .

وكان القادر هذا عالماً فاضلاً أديباً شاعراً فتمكن بحسن سيرته وتدييره من إرجاع بعض مجد الخلافة .

وفي عهد بهاء الدولة سنة ٣٨١ هـ بنى وزيره سابور بن أردشير مكتبة كبيرة على مثال بيت الحكمة الذي أنشأه هارون الرشيد وزاد فيه عبد الله المأمون . بناها في محلة بين السورين في الجانب الغربي من بغداد وسماها دار العلوم وجعل فيها

من الكتب الخطية النفيسة أكثر من عشرة آلاف كلها بخطوط الأئمة ورجال العلم فكسنت أشهر مكتبة في بغداد بل كانت مجمعاً للعلماء والأدباء والفلاسفة من عراقيين وغيرهم (وقد أحرقت هذه المكتبة فيما احترق من محلات الكرخ يوم محي طغرل بك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ) .

وفي هذه السنة (سنة ٣٨١ هـ) استولى على الموصل أبو الذؤاد محمد ابن المسيب أمير بني عقيل وهو رأس دولة بني عقيل أول دولة بني المقلد أو آل المسيب في الموصل ولما تم أمره فيها كتب على بهاء الدولة يخبره بذلك ويسأله أن ينفذ إليه من يقيم عنده من أصحابه يتولى الأمور (كتاب) فأرسل إليه قائداً من قواده . ثم استبد أبو الذؤاد بالأمور كلها فأرسل بهاء الدولة أبا جعفر الحجاج بن هرمز بعسكر كثير لقتاله فوصل الموصل وطرده انا ذؤاد وملكها . ثم درات بين أبي ذؤاد وبين عساكر بهاء الدولة عدة معارك انجلى بفوز البويهيين .

ولما توفي أبو الذؤاد سنة ٣٨٧ هـ سار أخوه المقلد إلى الموصل واستمال بعض الجنود الديلمية وكتب إلى بهاء الدولة يضمن منه الموصل وأعمالها بملونين من الدراهم وفي أثناء ذلك حمل على الموصل فأهزم منها سراً أبو جعفر عامل بها الدولة وسار إلى بغداد فدخلها المقلد وتم أمره فيها .

وفي الوقت نفسه كان المقلد يتولى حماية غربي الفرات من أرض العراق وله عليها نائب . ولما كان بهاء الدولة مشغولاً في محاربة أعوان أخيه صمصام الدولة جرت بين نائب المقلد وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة فسار المقلد منتصراً لتأنيبه فدارات رحى الحرب بين المقلد وبين جنود بهاء الدولة فلما سمع بهاء الدولة بذلك أرسل أبسا جعفر الحجاج إلى بغداد وأمر بمصالحة المقلد خوفاً من آثار الحرب فراسل أبو جعفر المقلد واستقر الصلح بينهما على أن يحمل المقلد عشرة آلاف دينار إلى بهاء الدولة سنوياً وأن يخطب له في البلاد ثم خلعت على المقلد الخلع

السلطانية ولقب بحسام الدولة . وأقطع الموصل والكوفة والقصر (قصر شيرين) والجامعين (الحلة) غير أن المقلد لم يحمل من المال إلا قليلاً ثم قطعه وعظم شأنه وخافه البويهيون وغيرهم .

وفي أيامه في سنة ٣٨٦ هـ حمل على البصرة أحد قواد صمصام الدولة البويهى اسمه لشكرستان فقاتله نواب بهاء الدولة فانتصر عليهم بمعاوضة جماعة من البصريين منهم أبو الحسن ابن أبي جعفر العلوى ودخل البصرة ظافراً في هذه السنة ولما دانت البصرة لهذا القائد شره في أموال الناس فأبترأ أموال المثرين وقتك بجماعة كبيرة من البصريين . فهاجر منها عدد كبير ومكث لشكرستان بالبصرة أكثر من شهر فزحف عليه أمير البطيحة مهذب الدولة أبو الحسن على بن نصر وكان تحت سيادة بهاء الدولة فلما اقترب من البصرة فر منها لشكرستان .

فدخلت سنة ٣٩٠ هـ وكانت أحوال العراق هادئة فارتأ بهاء الدولة أن يقيم في الأهواز (خوزستان) فاستخلف على العراق ببغداد ^(١) فلما كانت سنة ٣٩١ هـ جمع لشكرستان جيشاً كبيراً فأعاد الكرة على البصرة فدخلها عنوة وأعاد الظلم والسلب وصادر أملاك أكثر الوجهاء وقتل بعضهم ففر كثيرون من أهلها إلى بلاد أخرى .

ولما كانت سنة ٣٩٤ هـ جهز مهذب الدولة جيشاً قوياً وأرسله بقيادة أحد قواده أبي العباس بن واصل لقتال لشكرستان وطرده من البصرة وبعد معارك دامت أكثر من شهرين انهزم لشكرستان بمن معه فاستولى أبو العباس على البصرة وذلك في سنة ٣٩٥ هـ وقتل في هذه الفتنة نحو الخمسة آلاف من الفريقين. فلما أستتب أمر أبي العباس بالبصرة خلع طاعة مهذب الدولة واستبد بالأمر فأرسل

(١) ومنذ ذاك أخذ الملوك البويهيون أصحاب العراق يقيمون بخوزستان ويستخلفون على العراق رجلاً من خاصتهم يقيم ببغداد .

مهذب الدولة لطرده منها جيشاً ففشل ثم جهز له جيشاً ثانياً بقيادة أبي سعيد بن ماکولا ففشل أيضاً وقوى أمر أبي العباس فقصد البطيحة وبعد قتال أستولى على أكثرها وفي أثناء ذلك اضطربت عليه البلاد فخاف على نفسه فترك البطيحة وعاد إلى البصرة .

كل ذلك جرى في البصرة وأطرافها وبهاء الدولة مقيم بالأهواز فلما بلغته قوة أبي العباس وأستبداده بالبصرة خاف عاقبة أمره فأحضر عنده عميد الجيوش من بغداد وجهاز له جيشاً كبيراً وسيره لقتال أبي العباس فهزمهم أبو العباس وأستمرت الحرب بينه وبين جيوش بهاء الدولة مدة ثم حمل عليه بهاء الدولة بخمسة عشر ألف مقاتل فأندحر جيشه وعاد بالفشل فطمع أبو العباس بالأهواز فحمل بجيشه عليه فدحرته جيوش بهاء الدولة وعاد بالخرسان وعلى أثر هذه الهزيمة زحف بهاء الدولة بجيوش كثيرة على البصرة فأنصر على أبي العباس ثم حاصر المدينة أربعة أيام فاستولى عليها عنوة وقبض على أبي العباس فقتله وذلك في سنة ٣٩٧ هـ .

ثم ولي على البصرة الوزير أبو غالب وعاد هو إلى الأهواز .
وبقى عميد العراق (ويروى عميد الجيوش) أبو على بن جعفر ببغداد نائباً عن بهاء الدولة حتى مات سنة ٤٠١ هـ فولى مكانه بهاء الدولة أبا غالب ولقبه فخر الملك فظل هذا ببغداد نائباً على العراق حتى مات بهاء الدولة سنة ٤٠٣ هـ بأرجان وحمل نعشه إلى بغداد ومنها نقل إلى مشهد الإمام على ودفن هناك .
ومن تولى ديوانه ببغداد على بن محمد الكاتب وهو الذي صنف له المنشور البهائي وهو نثر كتاب الحماسة .

سلطان الدولة ابن بهاء الدولة (١)

٤٠٣ هـ - ٤١١ هـ

وتولى بعد بهاء الدولة ابنه أبو شجاع سلطان الدولة فأبقى فخر الملك ببغداد نائباً على العراق وولى البصرة جلال الدولة أبا طاهر بن بهاء الدولة ثم غضب سلطان الدولة على فخر الملك لأنه خالفه في بعض الأمور فأمر بالقبض عليه في سنة ٤٠٦ هـ فأرسل مخفوراً من بغداد إلى شيراز فقتله هناك وولى على العراق أبا محمد الحسن بن سهلان ولقبه عميد الجيوش فبقى هذا مقيماً في بغداد يدير أمور العراق على سنة ٤١١ هـ .

وفي أيام سلطان الدولة توفى ببغداد الشريف الرضى الحسن بن محمد في سنة ٤٠٤ هـ وكان عالماً فاضلاً وشاعراً مقلقاً وكاتباً بليغاً تولى نقابة الطالبين في سنة ٣٥٩ هـ ثم ضمت إليه الأعمال التي كان يليها أبوه وهي النظر في المظالم والحج بالناس. وكان له من سمو المقام ما دعاه أن يكتب إلى الخليفة القادر بالله من قصيدة طويلة :

عظفاً أمير المؤمنين فأننا	في درجة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت	أبدأ كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فأننى	أنا عاطل منها وأنت مطوق

وجاء سلطان الدولة إلى بغداد في سنة ٤٠٧ هـ وأقام بها أياماً ثم سار منها لقتال أخيه أبي الفوارس مشرف الدولة ولم يرجع إلى بغداد إلا في سنة ٤١١ هـ

(١) انظر المزيد في : مروج الذهب .

بعد أن تم الصلح بينه وبين أخيه المذكور . وما كادت قدماه تستقر ببغداد إلا وثارت عليه الجنود فيها . ونادوا بولاية أخيه مشرف الدولة فأسكنهم بالمال وعزم على الذهاب إلى واسط فطلبوا منه أن يستخلف مشرف الدولة على بغداد فأستخلفه كرهاً وسار على واسط ثم عزم على المسير إلى خوزستان فأستخلفه على العراق كله بعد أن تحالفاً أن لا يستخلف أحد منهما أبا سهلان . فلما وصل سلطان الدولة إلى مشر أستوزر ابن سهلان وسيره بالعساكر لحرب مشرف الدولة وأخرجه من العراق فأغتاظ مشرف الدولة واتحد مع الأتراك وجهاز جيشاً جراراً مؤلفاً من الأتراك والديلم والتقى بالوزير قرب واسط وبعد معارك أنهزم الوزير وتحصن بواسطة فحاصره مشرف الدولة حتى اضطره إلى الفرار بمن معه فدخلها مشرف الدولة وأعلن استقلاله في العراق .

وفي أيام سلطان الدولة هذا أسست في العراق الدولة الميزيدية في أرض الحلة في سنة ٤٠٣ هـ أسسها أبو الحسن على بن مزيد بن بنى أسد وتولى بعده ابنه ديبس سنة ٤٠٨ هـ بعهد منه ثم حدثت بينه وبين أخيه الأكبر المقلد فتنة في سنة ٤١٦ هـ فانتصر بنو عقيل للمقلد وأمد جلال الدولة أيضاً فأنهزم وأخيراً وقع الصلح بينه وبين جلال الدولة وتعهد ديبس بدفع المال المقرر في ولايته واستقام أمره ثم حدثت في سنة ٤٢٤ هـ بينه وبين أخيه الآخر ثابت فتنة فأمد ه البساسيري ثابتاً فتمكن ثابت من التغلب على ملك ديبس ثم أنتصر ديبس على ثابت بمساعدة خفاجة وعاد إلى ملكه (ولم تكن الحلة حينئذ بنيت) ثم تصالحا على أن يكون لثابت بعض الأعمال ودامت الدولة ١٤٢ سنة تقريباً أي من (سنة ٤٠٣ هـ - سنة ٥٤٥ هـ) .

وأول ملوكها أبو الحسن على بن مزيد وآخرهم على بن ديبس بن صدقة .

(انقرضت في عهد السلطان مسعود السلجوقي) .

مشرف الدولة

ابن بهاء الدولة

٤١١ هـ - ٤١٦ هـ

تقدم ما جرى بين سلطان الدولة وبين أخيه مشرف الدولة وكيف استولى الثاني على العراق وأعلن استقلاله . ولكنه بعد انتصاره على جيوش أخيه سلطان الدولة دخل بغداد بجيش كبير من الديلم فخرج الأهليون لاستقباله وهابه الناس كثيراً فعظم أمره وعلا شأنه وخوطف بشاهنشاہ (ملك الملوك) وخطب له بالملك على المنابر وأستمر ملكه على العراق إلى أن توفي ببغداد سنة ٤١٦ هـ .

وفي أول عهده أزداد استبداد قرواش في البلاد فعزم مشرف الدولة على محو إمارته وأخذ البلاد منه (الموصل والكوفة والأنبار وغيرها) فحرك عليه بنى أسد وأمدهم بالجنود والمال فساروا إلى قرواش وقتلوه وبعد معارك أنجز قرواش برجاله وتبعه بنو أسد حتى أدركوه وأسروه وسلموه إلى مشرف الدولة فضبط مشرف الدولة بلاد قرواش وأسره وبعد أيام قليلة من الأسر ثم كتب إلى مشرف الدولة يسأله الصفح فأبى ذلك .

ولم يحدث شيء في أيام مشرف الدولة في العراق شيء يذكر غير ما تقدم .

جلال الدولة ابن بهاء الدولة

٤١٦ هـ - ٤٣٥ هـ

وتولى بعد شرف الدولة أخوه أبو طاهر جلال الدولة وكان ضعيف الرأي سيء التدبير من ذلك أنه لما بويع بالملك وهو يومئذ في البصرة (وكان عليها منذ أيام سلطان الدولة) طلب الجيش قدومه إلى بغداد فأمتنع فخرجوا عن طاعته وقطعوا خطبته وخطبوا لابن أخيه أبي كاليجار بن سلطان الدولة الذي ملك فارس بعد أبيه فلما علم جلال الدولة بذلك ولى على البصرة أبا الفتح محمد بن أردشير وسار نحو بغداد فخرج عليه جيشها ليرده فقاتله وأنتصر عليهم ودخل بغداد فخرج الخليفة لاستقباله وقلده السلطنة على ما جرت به العادة ، ومنها أن الجيش ثار عليه ببغداد سنة ٤١٩ هـ بسبب قطع مرتباتهم وحصروه في داره ومنعوا عنه الماء فأضطر إلى بيع حلى نسائه وثيابه وفرق ثمنها على الجيش. ثم ثاروا عليه ثانية سنة ٤٢٢ هـ وشغبوا عليه فدخل قصره وأغلق أبوابه فجاءت الأتراك ونهبوا قصره وسلبوا كتابه وأرباب دواوينه فأضطر إلى الخروج من بغداد فسار منها إلى عكبرا^(١) فخطب الأتراك للملك أبي كاليجار ابن سلطان الدولة وأرسلوا إليه

(١) عكبرا من بلاد العراق القديمة كانت بين بغداد وسامرا على عشرة فراسخ من بغداد وتكتب عكبرا وعكبرى وعكبره .

يطلبونه وهو يومئذ بالأهواز فلم يجهم فأعدوا خطبة جلال الدولة وسار زعمائهم إليه وسألوه الرجوع إلى بغداد وأعتذروا عما فعلوه فعاد إلى بغداد بعد ٤٣ يوماً.

وفي أول عهده تزلف له قرواش (ابن أبي جعفر المقلد الملقب بحسام الدولة) وأخلص له فأعاده إلى ملكه. وبعد مدة أستبد قرواش بالبلاد وأستأثر بجبايتها ثانية وأمتنع عن مراجعة جلال الدولة في الأمور فثار عليه جلال الدولة وبني أسد وخفاجة وأمدهم بالجند والمال فالتقوا بقرواش قرب الكوفة وبعد عدة معارك هرب قرواش إلى الأنبار فطارده حتى بلغ الموصل وتحسن فيها سنة ٤١٧ هـ وفي تلك الأثناء ثارت الفتن والأضطرابات في داخلية بلاد البويهية واشتغل البويهيون في أحقادها فأغتنم قرواش تلك الفرصة وعاد إلى بلاده .

ولسوء تدبيره وضعف رأيه كثرت الفتن في بغداد وتوالى فيها شغب الأتراك وعظم أمرهم فيها وكثر المفسدون واللصوص وانتشر الأعراب في البلاد فنهبوا السواحى والقرى وقطعوا الطرق وبلغوا أطراف بغداد حتى وصلوا على جامع المنصور وسلبوا ثياب النساء في المقابر . بل أن الفوضى عمت في أيامه جميع البلاد العراقية وكثر السلب والنهب والقتل وضعف أمر الدولة البويهية في العراق وخصوصاً بغداد حتى حاول البغداديون ترك وطنهم لعدم الأمن وشيوع الفوضى في المدينة وما يليها ولكنهم لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً لانقطاع الطرق وانتشار اللصوص في كل الجهات حتى أن جماعة من الأكراد هبوا دواب بعض الجنود ونهبوا ثرة قراح (مزرعة) الخليفة القائم فلم يتمكن جلال الدولة من القبض عليهم لعجزه فعظم ذلك على الخليفة وأضطر أن يعدد فأمر القضاة والفقهاء بالإضراب عن العمل بترك القضاء والفتوى ففعلوا فلما لم يحصل الخليفة على شيء أمر بترك الإضراب .

وحدثت في أيامه في سنة ٤١٩ هـ فتن عظيمة بين الديلم والأتراك في البصرة وأخيراً انتصر الأتراك وقوى أمرهم فيها وأخرجوا الديلم منها . فلما كانت سنة ٣٢٠ هـ أرسل أبو كاليجار بن سلطان الدولة جيشاً بقيادة بختيار وأمره أن يأخذ البصرة فأستولى عليها وطردها منها حاكمها الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة ونهب الديلم أسواق المدينة . ودام النهب سبعة أيام وصودرت أموال التجار وتلفت نفوس كثيرة فأرسل جلال الدولة وزيره أبا علي بن ماكولا بجيش كبير في سنة ٤٢١ هـ فسار إليها أبو علي في ٤٠٠ سفينة ومعه عبد الله الشرابي وبعد قتال مع بختيار أندحر أبو علي ووقع أسيراً فلما علم جلال الدولة بمصير جيشه جهز جيشاً ثانياً فانتصر جيشه واستولى على البصرة وعلى أثر ذلك حدث نزاع بين عساكر جلال الدولة فنفروا فعاد القائد بختيار إلى البصرة واسترجعها لأبي كاليجار فجهز جلال الدولة جيشاً آخر في سنة ٤٢٤ هـ أرسله بقيادة ابنه الملك العزيز وكان في تلك الأثناء على البصرة أبو القاسم من قبل أبي كاليجار وكان قد استبد بها وعصى عليه فلما اقتربت منه جيوش جلال الدولة سلم البصرة بدون حرب ولكنه بقي كمساعد للملك العزيز في تدبير شئون البصرة وبعد قليل حدث بينهما خلاف أدى إلى وقوع معارك بينهما داخل المدينة وكانت النتيجة طرد الملك العزيز من البصرة. ثم أعطيت هذه المدينة بالضممان لأبي القاسم على أن يدفع في كل سنة سبعين ألف دينار على أبي كاليجار.

فلما كانت سنة ٤٣٠ هـ أمتنع أبو القاسم من تسليم المال إلى أبي كاليجار وصار تارة ينحاز إلى جلال الدولة وأخرى إلى أبي كاليجار فحمل عليه أبو كاليجار بجيش كبير في سنة ٤٣١ هـ وبعد قتال حاصر البصرة حصاراً شديداً فأستولى عليها عنوة وأعطاهما بالضممان إلى ابنه عز الملوك على أن يدفع له سنوياً مائة ألف

دينار وجعل معه مساعداً أبا الفرج بن فسانجس . وظلت البصرة في قبضته مدة
(ثم خرجت من يد البويهيين حينما زال ملكهم من العراق) .

ومع عجز جلال الدولة وضعفه لقب في سنة ٢٥٩ هـ بملك الملوك .
وفي أيامه توفي الخليفة القادر بالله فبريع لابنه أبي جعفر عبد الله ولقبوه القائم
بأمر الله (٤٢٢ هـ - ٤٦٧ هـ) فضيق جلال الدولة على القائم بأمر الله حتى
أنه أخذ منه في سنة ٤٣٤ هـ أموالاً كانت مقررة للخلفاء من ذى قبل فحدثت
بينهما وحشة دامت إلى أن مات جلال الدولة ببغداد في ٦ شعبان سنة ٤٣٥ هـ
بعد أن ملك ستة عشر سنة وإحدى عشر شهراً، أو كانت أيامه مشحونة بالفتن
والحروب مع أبناء أعمامه منازعيه في الملك تارة ومع الأمراء أخرى .

أبو المنصور

وأبو كالجار

٤٣٥ هـ - ٤٤٠ هـ

ولما مات جلال الدولة كان ابنه الأكبر الملك العزيز أبو المنصور في مدينة
واسط فبوع له ببغداد وكتب إليه الجيوش بالبيعة والطاعة وطلبوا منه القدوم إلى
بغداد وشرطوا عليه تعجيل حق البيعة (إكرامية أو بخشيش) وبلغ خبر مبايعته الملك
أبا كالجار البويهى المستولى على فارس فأخذ يرسل القواد والجنود ويعددهم
بالأموال الكثيرة وكثرة العطاء حتى استماضم إليه . وكان أبو المنصور قد أصر حق
البيعة الذى أشترطه الجند عليه فعدلوا عنه ومالوا إلى أبي كالجار وكتبوا إليه
يسألونه القدوم إليهم وقطعوا خطبة أبي المنصور وأعلنوا بيعة أبي كالجار وخطبوا له

على المنابر. فلما علم أبو النصور بذلك خاف الغدر فسار في سنة ٣٤٥ هـ مستجيراً بقرواش وبنصر الدولة بن مروان وبقي مقيماً عند نصر الدولة حتى مات في ميافارقين .

أما الملك أبو كاليجار فإنه بعد أن أستوثق من الجند واستقرت القواعد بينه وبينهم وتيقن من البيعة له أرسل أموالاً طائلة إلى الجند وأهدى إلى الخليفة عشرة آلاف دينار مع تحف كثيرة نفيسة ثم سار في سنة ٤٣٦ هـ إلى بغداد فدخلها بمائة فارس من أصحابه وخلع على القواد، وأجرى له الخليفة المراسم المعتادة ولقبه محيي الدين . وتم الأمر لأبي كاليجار في العراق وفارس وخطب له على المنابر بالملك .

وفي أيام أبي كاليجار حدثت حرب بين قرواش وبين أخيه بدران فصاح قرواش أخاه بدرأ وأعطاه نصيبين وعلى أثر ذلك حمل الأمير منيع الخفاجي على إقطاع قروش التي على سقى الفرات فضبطها منه وخطب فيها للملك أبي كاليجار وذلك في سنة ٤٣٥ هـ وفي أيامه قوى أمر السلجوقيين الأتراك وأنتزعوا البلاد من بني بويه وعظم شأن زعيمهم أبو طالب محمد بن مكائيل بن سلجوق الملقب ركن الدين طغرك بك فخافه أبو كاليجار وكتب إليه يسأله الصلح في سنة ٤٣٩ هـ فأجابته إليه وكتب إليه طغرك بك إلى أخيه الملك داود بعدم التعرض بمملكة أبي كاليجار ثم استقر الحال بينهما على أن يتزوج طغرك بك بنت أبي كاليجار ويتزوج المنصور بن أبي كاليجار بنت الملك داود أخرى طغرك بك وجرى ذلك الزفاف في السنة نفسها ٤٣٩ هـ ، ولما كانت سنة ٤٤٠ هـ سار أبو كاليجار إلى كرمان فمات في الطريق بعد أن ملك العراق أربع سنوات وشهرين وبضعة أيام .

الملك الرحيم

٤٤٠ هـ - ٤٤٧ هـ

هو أبو نصر بن أبي كاليبج كان ببغداد يوم مات أبوه في طريق كرمان فأجتمع رجال الدولة في دار الإمارة فبايعوه بالملك وحلف له الجيش بالطاعة. فأرسل أبو نصر إلى الخليفة القائم يطلب منه الخطبة وتلقيه بالملك الرحيم . فأجابه الخليفة إلى ما طلب إلا اللقب فإنه أمتنع من أجابته عليه قائلاً : لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله ، فترددت الرسل والرسائل بينهما من أجل ذلك وأصر الخليفة على رفض اللقب فلقبه أصحابه به رغم إرادة الخليفة ، وظل هذا اللقب عليه ودانت له بلاد العراق وخوزستان (الأهواز).

وهو الذي أقطع الأمير دبيس بن علي بن مزيد حماية نهر الصلة ونهر الفضل في سنة ٤٤١ هـ وكانت من إقطاع جند واسط فغضبوا وزحفوا على دبيس فانتصر عليهم وقتك بهم وغنم أموالهم فأهزموا راجعين إلى واسط^(١).

وفي أيامه عصى أبو علي بن أبي كاليبج أمير البصرة فحمل عليه الملك الرحيم في سنة ٤٤٥ هـ وحاربه فانتصر عليه وتحصن أبو علي في البصرة وكان

(١) ودامت هذه الإمارة إلى سنة ٥٤٥ هـ وآخر من ملك من هذا البيت علي بن دبيس ابن صدقة وهم الذين بنو مدينة الحلة وكان لهم شأن كبير في العراق وأشهرهم صدقة ابن منصور الملقب سيف الدولة وابنه دبيس وعلي بن دبيس .

البصريون قد كرهوه لسوء سيرته وتجره وظلمه فأخاز والى الملك الرحيم وثاروا على الأمير فطردوه وسلموا المدينة إلى الملك الرحيم في سنة ٤٤٦ هـ وبعد أن دبر شؤونها ولى عليها البساسيري .

وفى أيامه حدثت ببغداد فتن كثيرة بين السنة والشيعة قتل فيها خلق كثير من الطرفين ولم تتمكن الحكومة من قمع تلك الفتن . بل أنها لم تتمكن من قمع الفتن التي كانت تقوم تارة من أجل المناصب وأخرى بسبب الاختلاف المذهبي الذي هو من أكبر أسباب انقراض هذه الدولة . ولم تنته الفتن بين السنة والشيعة حتى قامت بينهما فتنة كبيرة في سنة ٤٤٣ هـ قتل فيها من الطرفين عدد كثير فيهم مدرس الحنفية أبو سعيد الرحبي وأحترقت في هذه الفتنة الخزانة دور الفقهاء وضريح الإمام موسى بن جعفر الصادق وقبر زبيدة زوجة هارون الرشيد وقبور الخلفاء وقبور ملوك بني بويه .

وأخذت دولة بني بويه في عهد هذا الملك تزداد ضعفاً على ضعف وانحلت أمور الدولة ببغداد وغيرها وبينما كانت هذه الدولة تنحط يوماً فيوماً كانت دولة السلجوقيين تتوسع وتقوى يوماً فيوماً وكان رجالها قد استولوا على بلاد كثيرة محاذة الشرقى العراق في الوقت الذي كان العراقيون قد سئموا حكم البويهيين وملوا سياستهم وتمنوا زوال ملكهم .

وعلى أثر ذلك الانحلال والضعف طمع طغر بك السلجوقي في الاستيلاء على العراق فتقدم نحو بغداد بعد أن فتح بلاداً كثيرة في الوقت الذي كانت الفوضى فيه ضاربة اطنابها في العراق والحكومة عاجزة عن كل شيء وقد

انحل أمرها وليس لديها من الجند ما تستطيع به الدفاع عن بلادها ولا عندها مال
تجهز به الجيوش .

وكانت النتيجة أن حمل طغرك بك السلجوقي على العراق بجيش كبير من
الأتراك فأستولى على بغداد مقر الدولة البويهية والخلافة العباسية وحدثت يوم
دخوله بغداد فتنة عظيمة احترقت فيها بعض المحلات وكثر النهب والقتل وذلك في
سنة ٤٤٧ هـ وأنقرضت هذه الدولة من العراق بعد أن ملكته مائة وثلاثة عشر
سنة من تاريخ استيلاء معز الدولة أحمد على بغداد إلى آخر أيام الملك الرحيم الذي
أسره طغرك بك، وعدد هؤلاء الملوك الذين ملكوا العراق أحد عشر ملكاً .

وانتقل الحكم في العراق بعدهم إلى السلاجقة ثم إلى الخلفاء العباسيين الذين
أعادوا حقهم ونفوذهم ثم حمل هولاكو المغولي بجيوشه وقرض الخلافة العباسية فظل
العراق ينتقل من دولة إلى أخرى حتى حمل الشاه إسماعيل الصفوى على السلطان
مسراد بن يعقوب آخر ملوك دولة الخروف الأبيض التركمانية وطرده من العراق
وسياتى ذكر ذلك .

